

حيوانات الجزيرة

فرس البحر

وقفنا بالأمس في حديقة الحيوانات بالجزيرة امام البركة الكبيرة التي يسبح فيها فرس البحر ورأينا حارسة فقال لنا اظنكم تودون ان تروه فقلنا نعم فناداهُ واذا بالماء يوج ورأس خرج منه فقمرين بارزين وعينين جاحظتين وجلد كلون الماء الآسن رمادي صقيل حتى اذا وصل الى حيث كان حارسة صعد الى البر فرأينا حيواناً ضخماً كالثور البدين ملء، الجسم مكثوز اللحم ففغر فاهما كالملاوية ووقف ينتظر كالتبول للمجوج وهو ينفض رأسه ذات اليمين وذات اليسار وقد رسمت البلاد على وجهه آياتها ونسرت الدلة في عينيه اظناها، فرمى الحارس في شدقه رؤوساً من البطاطس فالتهمها بالسرع من لمح البصر وفتح فاهُ ثانية يطلب غيرها فرمى له رؤوساً اخرى فالتهمها سابقتها وفغر فاهُ ثالثة والارأى ان سلته طلعت فارعة هذه التوبة ادار رأسه وعلو ادراجهُ ولسان حاله يقول

لقد علمت وما التفتير من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسمى لهُ فيعيني تطلبهُ وان قدمت اناي لا يمتني
لاخير في طمع يدي الى طمع وغفة من قوام العيش تكفيني

اخبرنا اناس من ميث العطار انهم راوا فرس البحر في النيل منذ شهرين على نحو ميلين من بنها جنوباً ولطهم وامهم لاننا لم نسمع ان احداً رآه غيرهم لكنه كان كثيراً في النيل في الزمن العاير وبقي فيهِ الى عهد مرنقى الدين عبد اللطيف البغدادي في اوائل القرن السابع الهجري فوصفه وصفاً بديعاً قال

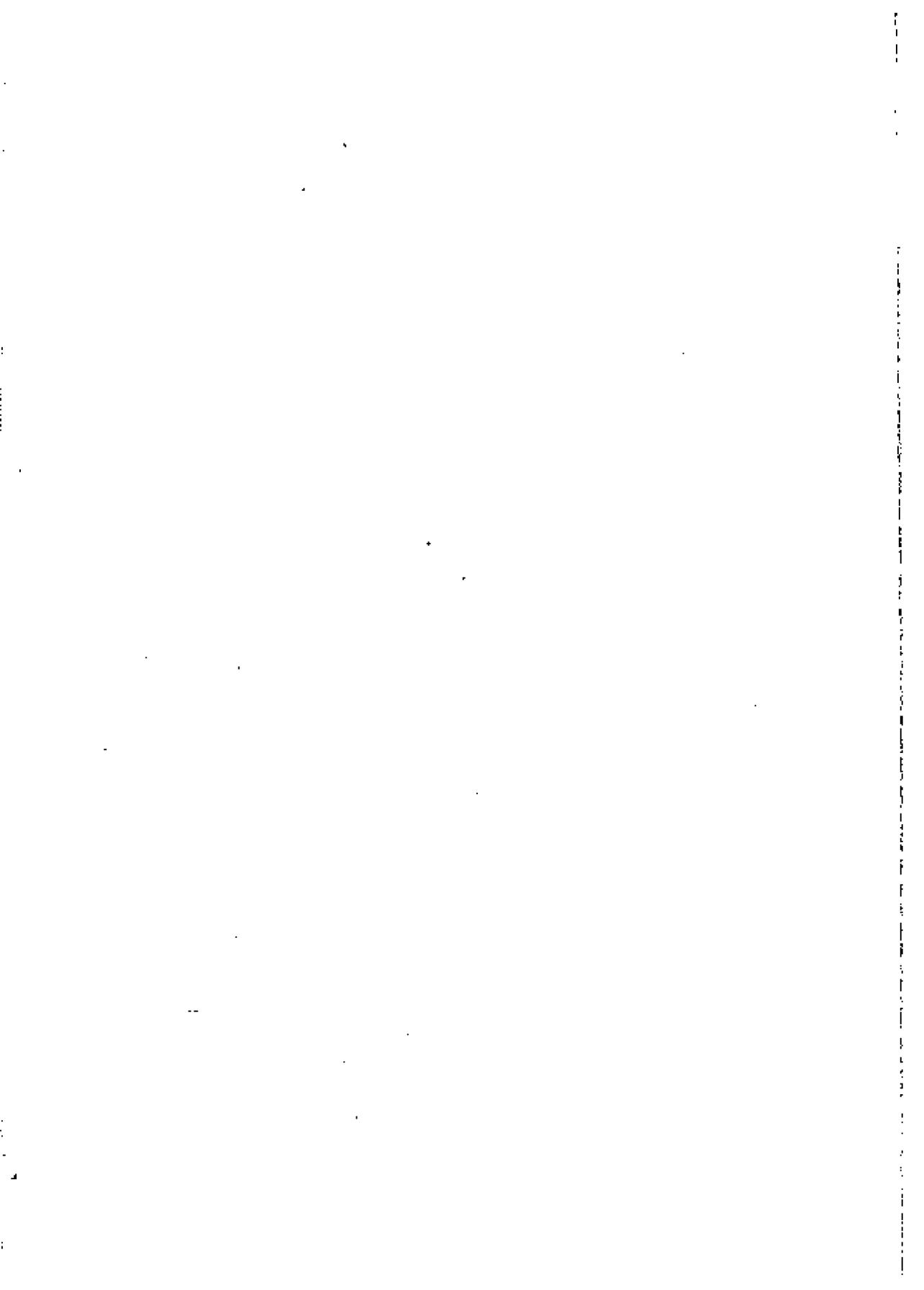
« ومن ذلك فرس البحر وهذه توجد باسفل الارض وبخاصة ببحر دمياط وهو حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد البأس يتبع المراكب فيغرقها ويهلك من غرقه به منها وهو بالجاموس اشبه منه بالفرس لكنه ليس له قرون وفي صوته صيحة يشبه صهيل القرس بن البغل وهو عظيم الهامة عربت الاشداق حديد الاياب عريض الكلكل منتفخ الجوف نصير الارجل شديد الوتب قوي المدفع مهيب الصورة مخوف الثقالة وخبرني من اصغادها مرات وشقها وكشف عن اعضائها الباطنة والظاهرة انها خنزير كبير وان اعضائها الباطنة والظاهرة لا تغادر من صورة الخنزير شيئاً الا في عظم الخلقة . ورأيت في كتاب نيطواليس



فرس البحر



فرس البحر في الماء وفلورها عن رأسها



في الحيوان ما بعض ذلك وهذه صورته . قال خزيرة الماء تكون في عظم الفيل ورأسها يشبه رأس البغل واذنها شبه اذن الجمل . قال وشحم منها اذا أذيب ولت يسويق وشربته امرأة استمنها حتى تجوز المتقار

« وكانت واحدة يجر دسيا قد ضربت على المراكب تفرقها وصار المسافر في تلك الجهة مغرراً وضربت أخرى بجهة أخرى على الجواميس والبقروبي آدم تقتلهم وتفسد الحرث والنسل . واعمل الناس في قتلها كل حيلة من نصب الحياثل الوثيقة وحشد الرجال باصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيئاً فاستدعي بنفر من الريس صنف من السودان زعموا انهم يحسبون صيدها وانها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق . فتوجهوا نحوها فقتلوا في اقرب وقت وباهون سعي واتوا بها الى القاهرة فشاهدتها فوجدت جلد احداها اجرد اسود ثخيناً جذاً وظولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجواموس نحو ثلث مرات وكذلك رقبها ورأسها . وفي مقدم فيها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من اسفل المتطرفة منها نصف ذراع زائد والمتوسطة انقص بقليل . وبعد الاثني عشر اربعة صفوف من الاستان على خطوط مستقيمة في طول النم في كل عشرة كامثال بيض الدجاج المصطف صفان في الاعلى وثمان في الاسفل على مقابلتها . واذا انقرنوها وسع شاة كبيرة . وذنبها في طول نصف ذراع زائد غليظ وطرفه كالاصع اجرد كأنه عظم شبيه بذنب الورل وارجلها تضار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبيه يخف اليعبر الا انه مشقوق الاطراف باربعة اقسام وارجلها في غاية الغلظ . وجملة جنتها كأنها مركب مكبوب لعظم منظرها . وبالجملة هي اطول واغلظ من الفيل الا ان ارجلها اقصر من ارجل الفيل بكثير ولكن في غلظها او اغلظ منها » انتهى ولقد اصاب عبد اللطيف بقوله ان فرس البحر شبيه بالخنزير . وكان المصريون الاقدمون يسمونه بما معناه خنزير النهر وهو اصح الاسماء له من باب علي . وكان كثيراً في عصرهم كما يظهر من صورهم بين ما نقشوه من الحيوانات كما يرى في هيكل ادفو . وكانوا يصطادونه رمياً بالحراب كما يفعل الزنوج . اما الآن فلا يرى فرس البحر الى الشمال من دنقلة وبقي في جزائر النيل بالبحر حتى اواخر القرن الماضي . ويكثر وجوده فوق الخطوط وفي كل انهار افريقية بين الدرجة ۱۷ شمالاً و ۲۵ جنوباً وفي بحيرة صانادبا في بلاد الحبشة حيث الارتفاع عن سطح البحر ستة آلاف قدم . ويظهر من وصفه في سفر ايوب انه كان في فلسطين في عصر التاريخ . ومن آثاره الباقية في اوربا انه كان فيها في العصور الجيولوجية الحديثة

وأكثر اقامته في الماء . وجسمه أثقل من الماء لانه يفرق فيه اذا قُتل . والنرق بين نثله النوعي وثقل الماء قليل فيسبل عليه السير على قاع الانهر والبحيرات لانه يكون محمولاً بالماء لكنه لا يقيم تحت الماء أكثر من خمس دقائق كما قال السر صموئيل باكر هذا اذا لم يكن ما يزعجه . واما اذا خاف الطواري . فانه يقيم تحت الماء عشر دقائق او أكثر . وسيره في الماء سريع جداً

قال السر صموئيل انه كان مرة في سفينة بخارية في اعالي النيل وكانت تسير عشرة اميال بحرية في الساعة وكان امامهم فرس يجر على مشة يرد منهم فلم يستطيعوا ان يدركوه الا بعد ان زادوا سرعة السفينة الى غايتها

واغرب ما في الرقبة الزرقاء في البروفوس البحر في النهر ولا سيما اذا كانا آجالاً . قال المستر صلوس الصياد الشهير « رأينا على رملة بيضاء خاربة في الماء قطعاً فيه عشرون من افراس البحر ضخمة الاجسام متراكمة بعضها بجانب بعض كقطع الغمام . وكنا على نحو ٢٥٠ يرداً منها ما من شيء يجذبها عن نظرنا او يججنا عن نظرها ومع ذلك لم ندر بنا كأنها كانت نائمة . وقد يرفع واحد منها راسه ويحركه بئنة ويسرة ثم يفعل آخر قطعه واخيراً سمعنا نكتهم فجعلت تنهض الواحد بعد الآخر وتسير الى النهر بسرعة او مبثثة وترقي فيه وتغوص او تسبح ولا يبتى منها الا متاخرها فوق الماء وكان معها عجول صغيرة وهي التي ركضت الى الماء بسرعة واما الكبار فسارت اليه المويبا »

وقال السرجون ولوبي « رأينا افراس البحر ونحن في قارب يسير نحوها لكنها لم تنبأ بنا بل بقيت تسرح وتمرح وتفض الماء من متاخرها وتغوص في الماء ثم ترفع رؤوسها فرفة بعد دقيقتين او ثلاث وتنظر الى ما حولها . ولما صرنا على ثلاثين يرداً منها سكن ثأرها ونظرت الينا مدهشة والظاهر اننا اول من رأتهم يجردون في تلك المياه

وقال السر صموئيل باكر انه رأى فرساً من النيل الابيض في زمن التماريق وقد تراكت افراس البحر فيه حتى خشى ان تمنع سير السفينة لكن الافراس اقتربت حالاً فرفقتين فسارت السفينة بين رؤوس شجر وانوف شجر

ووصف الدكتور لستون مسارح افراس البحر على ضفاف نهر شوبي ونحوه من الانهار الافريقية الكبيرة فقال ان ضفافها مغلدة بحدود حيث تصعد الافراس ليلاً لترعى العشب ثم تعود في النهار الى الماء مهدية اليها برائحة الطريق الذي سارت فيه فاذا وقعت الامطار فزال رائحة تعذر عليها الرجوع الى النهر فتقف حيرى لا تدري كيف تسير .

والغالب ان يبقى الذكور مع الاناث ولكن اذا طغنت الذكور في السن فقد تمتزج وحدها وهي تفضل الماء الراكد على الجاري لانه يسهل عليها السير في الاول ولا يسهل في الثاني . ولتضي نهارها نائمة او ناعمة غير منفتحة الى ما يجري عن بعد منها . ولقد كورها شيخير عال يُسمع على بعد ميل . وتقيم السمبول على رقاب امائها وترفع رؤوسها فوق الماء لتنفس وتعلم الامات حاجتها الى التنفس فترفع رؤوسها بها فوق الماء اكثر مما ترفعه لو كانت وحدها . وقد علمنا الاخبار في انهار لوندان ان تنقي الصيادين فلا ترفع رؤوسها هناك فوق الماء الا في الاجام وتنفس حينئذ مرعباً ثم تنقي وهي لا تفعل كذلك في زميسي حيث لا يتعقبها الصيادون

ومقامها في النيل الابيض بين قصب الغاب الذي ينطوي خفيه كما قال السر صموئيل باكر فتقيم هناك في المستنقعات حيث الغاب كثيف لا يميزه انسان . وطرقها اسراب خرقها في اشمب انتلامق كما انها اوجار اليرابيع فتجأ اليها لتنام فيها ولا سيما الاناث منها فانها تتأهبها دواماً هي وصغارها فتأمن فيها من الانسان والحيوان

وفرس البحر من آكلات العشب ومدته واسعة جداً تسع اردباً او اكثر فاذا لم يكن في ساحله زرع اكتفى بما يجده من العشب البري والمائي ولكن اذا كان فيها زرع من الارز والذرة وقصب السكر عاث فيها واكل زرعتها وداس ما لم يأكله . والغالب انه يخرج من الماء بعد غروب الشمس بساعة ويعود اليه عند الفجر

وتلد الانثى نذراً في الغالب وقد نشم . قال السر صموئيل باكر انه لم يرا انثى ومعها اكثر من عجلين . ومدة الحمل ثمانية اشهر او اقل قليلاً والامات جريصات على اولادهن . واما الذكور فلا تلبسها . والذكور في حرب دائمة في زمن المزاوجة وفي غيره واذا جرح واحد منها لم تشفق عليه رفاقة بل تجهز عليه اذا استطاعت

وفرس البحر جبان في الغالب لا يبادى بالعدوان ولكن اذا مر قارب بين جماعة منه بنتة وهي نائمة او اذا صدم فرساً منها فجأة في النيل فالعاقبة وخيمة غالباً . قال السر صموئيل باكر انك اذا صرت في قارب عادي في النيل وقام في رأس فرس البحر ان قاربك يدوي له شراً فلا سبيل للنجاة منه . فلا تكاد تسمع شيخيره على مقربة منك حتى تشعر بشيء دخل تحت قاربك وقلبه بك . وذكر لنتسبون فرس بحر رفت قارباً فكسرتة وفرساً اخرى قُتل فلوحا فادخلت رأسها تحت قاربه وكان ممة فيه سممة رجال فرفعتة وكادت تقبته . وهاجت فرس الباخرة التي كان فيها السر صموئيل باكر في النيل الابيض

وكسرت بعض الراح رفاصها وخرت قاعها خرقين كبيرين بانباها . واغرب ما ذكره
 السر صموئيل من نوادر فرس البحر ان البعض كانوا يعبرون النيل بقطع من البقر سبحا
 واذا بقطع من افراس البحر هجم عليهم وقبض على الثيران وغاص بها في الماء فاغرقها
 ويصيد زنوج افريقية فرس البحر الآن كما كان يصيده المصريون الاقدمون طعنا
 بالحرايب فيخرج اثنان منهم لصيده ومع كل منهم حربة نصلها مسنن وقد ربطت بحبل حتى
 اذا اقتربا منه رمياهما بالخربتين معاً وربطاً حبلها بقطعة من الخشب فتدل على الفرس اذا
 غاص في الماء ثم يبعث الصيادون يرشقونه بالحرايب كلما صعد من الماء ويرطون الخشب بحبل
 آخر ويجرون الفرس الى البر ويقتلونه طعناً بالحرايب . ولكن قلة يتمكنون من ذلك من غير
 ان يقتل واحد منهم او اثنان . ولهم في صيده اساليب اخرى في اواسط افريقية كما في
 صيد الليل اشدها قسوة امانة جوعاً كما يفعل الكفرة على ما رواه المسترسلوس فاتهم
 يسوقون افراس البحر الى بركة في النهر ثم يقيمون حاجزاً من الاشجار والاشواك بين البركة
 والنهر حتى يجمعوا الافراس من الخروج . وقال انه رأى بركة مثل هذه وكانت افراس البحر قد
 حبست فيها منذ ثلاثة اسابيع وكلما حاول واحد منها الخروج طعن بالحرايب

ويصاد فرس البحر الآن لاجل جلده ولحمه ودهنه تصنع من جلده السياط ويأكل
 الزوج لحمه ودهنه وقد قال السر صموئيل ان لحمه طيب الطعم ولا سيما لحم عجوله والثوربا
 التي تصنع من جلده تشابه شوربا السلفاة البحرية . وهي اغر انواع الطعام عند الادربيين
 واغلاها غناً

ويعيش فرس البحر في بساتين الحيوانات ويتوالد ولكن عجوله التي تولد هناك قلة تعيش
 ويبلغ طول الكبير منه ١٤ قدماً وثقله اربعة اطنان وهو اكبر ذوات الاربع بعد
 النبل ولونه رمادي او اسمر ضارب الى السواد وقد رأى السرجون كرك افراس بحر بين
 شرق افريقية تكاد تكون بيضاء . ويطول نابه الاسفلان احياناً حتى يبلغ طول كل منهما
 ٣١ عقدة ومحيطه عند قاعدته ٩ عقد

اما صيده بالرصاص فقال المستر تجادر انه سهل على شرط ان يخرق الرصاص دماغه
 لكنه حذر جداً فاذا اراد ان يفتن لم يخرج رأسه كله من تحت الماء بل اكتفى باخراج
 منخره والغالب انه يخرجها لحظة واحدة للزفير وينص في الماء ويعد فيه ثم يخرجها للشيق
 فلا يدع للعياد مجالاً ليدد رصاصه اليه . قال لما وقعت عيني على اول فرس بحر في افريقية
 كان ذلك في نهر آتي وعرض هذا النهر نحو ١٥٠ قدماً وطول ما يستطيع الفرس السباحة

فيه نحو الف يرد وقد رأني حالاً رأيتُهُ ولم أكن ارفع البندقية الى كفتي حتى اخفى تحت الماء فوقفت في مكاني والبندقية في يدي وانا التفت الى النهر منتظراً ان اراه يرفع رأسه واذا بشبحه يرو على نحو ۳۰۰ يرد فوق المكان الذي غاص فيه فارسلت بعض رجالي الى ما فوق الرفعة التي يستطيع السباحة فيها وبعضهم الى ما تحتيها لكي يمنعاه من الخروج منها وانمت بقيتهم على ضفتيها بعيداً عنها حتى يروه ولا يراهم وبقينا ساعة من الزمان ونحن رقبته على هذه الصورة واذا برأسه يبرز من سطح الماء وكنت مستعداً له فاطلقت الرصاص عليه حالاً وظهر لي كأنه غاص في الماء قبلما اطلقت الرصاص لكنني لم اقطع بذلك . وكان علينا ان نتظر هناك ساعة او ساعتين فاذا كنت قد اصبته وجرحته فقط فلا بد له من ان يبعد عنا حتى يصل الى مكان يختفي فيه ثم يرفع انفه ويتنفس رويداً رويداً ويبقى هناك ساعات لا يبدي حراكاً . واذا كانت الاصابة فائلة غرق في الماء حالاً وبقي غارقاً ساعتين او ثلاثاً حسب حرارة الماء الى ان تمتد الغازات في بطنه فتخفه وترفعه فيقطع ويسهل حينئذ جره الى الشاطئ . فانتظرنا ساعة بعد اخرى اربع ساعات متواليه على غير طائل والظاهر انه هرب الى مكان بعيد واخفى فيه . وقد اخبرني انكولونل روزفلت الذي التقيت به في شرق افريقية سنة ۱۹۰۹ ودعاني للصيد معه انه رى فرس يجر في يقاشا وجرحه فاما كان من الذرس الا انه نرفاه ويجم على قاريه وكان فيه هو وابنه كرمت وبعض الصيادين من الزاوج فاطلق عليه رصاصتين اخر بين فارداه بهما

وكان صائد المائي اسمه شمت يصيد فرس البحر في نهر رونيبي هو وحياد اوري آخر وبعض الزنوج فاصطادوا اثنين وانتظروا حتى انتفخا وطفوا فوق الماء فذهبرا اليها بقارب وربطوهما وجروهما وقيل ان وصلوا بهما الى البرهيم طيها فرس بحر كبير وضرب القارب فقلبه من فيه وكان شمت ورفيقه يحتمان السباحة فيجا الى البر وسبح معهم الزنوج فتبعهم فرس البحر وقبض على واحد منهم بشدقيه فكاد يقطعه اثنين . وكانت اسلحتهم كلها قد غرقت لما قلب القارب بهم فلم يبق لهم سبيل لانقاذهم

وذكر تجادر حادثتين حدثتا له في ميد فرس النهر كادتا توديان به . الاولى انه صاد فرساً كبيراً في نهر حيث كان الماء بطي الجريان فلا اصابه الرصاص غرق حالاً وكان الماء شديد الحرارة فلم يمض عليه نصف ساعة حتى انتفخ وطفأ على وجه الماء وجعل يجرى معه وكان النهر يتعطف حيث كان تجادر واقفاً هو ورجاله فظن ان الفرس يصل اليه وهناك بركة كبيرة تقع الجنة فيها الى ان يتمكنوا من ربطها ورفعا الى البر وقت البركة مخدر يجرى

الماء فيه بسرعة كالشلالات لكن جثة الفرس لم تدن منهم بل ابعدت نحو الضفة الاخرى من النهر وكادت تصل الى التيار فيسرع بها الى الشلال ولم يكن معهم قارب يصلون به اليها. وحض تجادر رجالة على الساحة اليها وربطها فابواخوفاً من افراس البحر والتاسيح. ولما رأى ابناءهم خفق ثيابه وملك حبلاً بأمانته وجعل يسبح نحو الجفة وقيل ان وصل اليها شر كان سكيناً خرقت نغمة غيب ان التماسح مكمه فاسقط في يده وتدم على ما فعل ولات ساعة مندم لكنه وصل الى الجفة وصعد عليها فرأى في نغمة جرحاً كبيراً لم يعرف سببه ثم ربط الحبل بمنق الجفة وأمر رجاله فجروها ووصلت الى البر وهو راكب عليها بعد ان وقع عنها مرتين

وبعد ايام رمى فرساً آخر في ذلك النهر فطفا فرق الماء بعد ٣٢ دقيقة وكان من اكبر افراس البحر فجره التيار الى الضفة المقابلة وخاف تجادر ان يعود به التيار الى الشلال فأرسل اليه اثنين من رجاله ربطاه بحبل مشين وجعل الرجال يجرونه لكن التيار كانت شديداً فقطع الحبل وجرى بالجفة ورماها من فوق الشلال فنزلت الى الجنادل التي تحته وعلقت بصخر كبير وكادت تنطوي عليه لئلا تدفع الماء لها. وطلب تجادر من رجاله ان يزلوا اليها ويربطوها فابواخوفاً من التيار ولما رأى منهم ذلك غرر بنفسه ثانية غير حاسب للشلال حساباً وملك الحبل وجعل يسبح فحملته التيار ورماه من فوق الشلال ودفعه على جثة الفرس فبلغها سالماً من غير ضرر لمرورتها ورأى حينئذ انه يستحيل عليه ان يربطها ويجرها معها كان الحبل متيناً لئلا تدفعه التيار فربط الحبل بجنكها الاسفل ونادى رجاله ليأتوه بفاس كبيرة فبادر اليه ثلاثة منهم امسكوا بالحبل واستسلموا للتيار فواصلهم اليه فتعاونوا على قطع الراس وعادوا الى البر وجعلوا يجذبون الحبل لكن التيار قطع مع انه اعظم من الابهام

ورأى جادر ثاني فرس يجر طول كل منها ٢٨ عقدة اي قدمان وثلاث قدم والقالب ان يكون طول القالب قدماً الى قدم ونصف واطول ناب يبلغ ٣١ عقدة كما تقدم اي قدسين وسبع عقد. ويبلغ ثقل الجلد الكبير حين سنه ٤٠٠ ليرة الى ٥٠٠

ولا يزال فرس البحر اكثر من كل الحيوانات الكبيرة في افريقية وسيقرض بعدها كلها لصعوبة الوصول اليه وقلة الانتفاع به.

ومنه نوع صغير جداً في غرب افريقية لا يزيد جرمه على جرم الخنزير ولا ثقله على ٤٠٠ ليرة. وارتفاعه عند كفيه لدمان ونصف قدم وطوله الى آخر ذنبه ست اقدام وهو اسود اللون وبطنه رمادي ضارب الى البياض